الألفاظ العربية بين بذور فنائها ومقومات بقائها
العامية الدارجة أنموذجاً

فاضلي عبد القادر
تحت إشراف: أد. تحريشي عبد الحفيظ
جامعة طاهري محمد بشار.

ملخص:
من الألفاظ العربية مايُعمَّرُ فلايموت ولو مضى عليه آلاف السنين،لما فيه من ضروب المناعة الداخلية،كقوة المعنى ورشاقة اللفظ، ومنها ما معرّض للهجر والانقراض،وترجع أسباب انقراض الألفاظ العربية لسببين رئيسين،الأول منهما :العامل الصوتي في اللفظ ، ،والثاني منهما العامل الدلالي في المعنى، إلاأن كل لفظ مات وانقرض ،قابل للبعث من جديد،سواء كان عربياًفصيحاً،أم عامياً دارجاً ،شريطة توفر مقومات بقائه وعوامل بعثه.

الكلمات المفتاحية
الألفاظ-الانقراض-الممات-أسباب–بذورفناء-مقومات-بقاء-العربية-العامية-المعنى-الاستغناء-الديني-عوامل–إحياء-

Abstract
Among Arabic words there are ones which last long and die hard even after a thousand years lifetime. Others did not have such a chance, so they did notstand the test of time and fell into disrepair and extinction.
Arabic words extinction has two main causes: the first pertains to word's phonetic factors; the second one pertains to the semantic factor of the word's meaning.
However, the death of an extinguished word is not irreversible, whether it belongs to classical Arabic or dialectal Arabic, provided that existence constituents and revival criteria are gathered.

Key Words
Words, extinction, death, causes, extinction germs, constituents, existence, dialectal Arabic, meaning, substitution, religiousfactors, revival criteria.

مقدمة

من الألفاظ ما يُعَمّر فلا يموت ولو مضى عليه آلاف السنين، لما فيه من ضروب المناعة الداخلية كقوة المعنى، ورشاقة اللفظ وعذوبة جرسه كألفاظ القرآن الكريم التي تكفل الله بحفظها، وألفاظ الحديث النبوي الشريف، أمّا ما دون ذلك فهو معَّرض للانقراض، إلاَّ أن ذلك لا يكون أبدياً، فكل لفظ مات و انقرض قابل للبعث من جديد، و إذا كانت اللغة العربية الفصيحة فقدت ألفاظاً منها بالانقراض، فإن العامية الدارجة نال ألفاظها ما نال العربية الفصيحة، ومن الأسئلة التي تطرح نفسها في هذا المقام: ما الأسباب التي تؤدي إلى انقراض الألفاظ في اللغة العربية الفصيحة، وفي العامية الدارجة؟ هل يمكن إحياء اللفظ

الممات؟ وما الذي ينبغي أن يُعمل لتحقيق ذلك ؟ كل هذه الأسئلة وغيرها، نحاول الإجابة عنها من خلال هذاالمقال.

و قد دعانا إلى الكتابة في هذا الموضوع أمور منها:

أ-أهمية البحث في اللفظ الممات كونه أحد مظاهر التطور اللغوي، فهو بحاجة إلى دراسة تبين أسبابه.

ب- الحفاظ على إرث المنطقة للأجيال اللاحقة، ومعرفة التطورات الحاصلة للمجتمع وللغته وعاداته وتقاليده ،فاللغة تعبِّر عن المجتمع وعن فكره و عاداته وتقاليده،

ج-التذكير ببعض العادات و الأعراف الحسنة التي من شأنها أن تسهم في وحدة المجتمع وتماسكه، ومن أمثلة ذلك:" التويزة " التي يتمثل فيها قوله تعالى: "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان".

تلكم هي بعض الأسباب التي دعتنا إلى الكتابة في هذا الموضوع،

مفهوم اللفظ الممات ومصطلحاته :

لظاهرة موت الألفاظ في اللغة العربية مصطلحات متعددة عند اللّغويين القدامى والمعاصرين منها:

1)- **الممات:** و يعرفه الصاعدي بقوله: "هو ما كان مستعملاً من ألفاظ اللغة ثم أميت بالهجر، أو التطور اللغوي، أو النهي عن استعماله، فاستغنت عنه اللغة تماماً كأسماء الأيام و الشهور القديمة، و بعض الألفاظ الجاهلية التي زالت لزوال معانيها، أو لنهي الإسلام عن استعمالها"[1]، ومن المصطلحات القريبة لمصطلح للممات، "موت اللغة "، وقد اختار هذا المصطلح ديفيد كريستال عنواناً لكتاب يقول فيه:" فقولنا إنَ لغة ما ميَتة يشبه تمام القول:إنَ شخص إما ميَت، لأن اللغات لاوجود لها دون البشر...تموت اللغات عندما لا يتحدثها أحد..."[2]، ومن مصطلحات الممات في كتب اللغة :"المتروك"[3]،"المصطلحات اللغوية"[4]،"العقمي"[5]،"الاستغناء"[6] ،"الانقراض"[7]،"الكلمات التاريخية"[8]،"البقايا الأثرية"[9]وهو من مصطلحات الرافعي ،"الركام اللغوي"[10]حسب تعبير رمضان عبد التواب ،و كل هذه المصطلحات متقاربة في المعنى والدلالة.

بذور فناء الألفاظ وانقراضها

قد تختفي بعض الألفاظ من الاستعمال فتموت لأسباب عديدة، تتفق في بعضها سائر اللغات، وتنفرد ببعضها لغات، و للعربية أسبابها الخاصة التي أدت إلى موت الألفاظ فيها، و هي ترجع في الجملة إلى أسباب صوتية وأُخرى معنوية .

أ-العنصر الصوتي في اللفظ

ب -القيمية الدلالية للَفظ

"وهذان العنصران في حقيقة الأمر، هما ما يعطيان الحياة للفظ أو يسلبانها منه، فتنقرض اللفظة و يُستغنى عنها ثم تموت أو حسب المفهوم القديم لا تعد فصيحة".[11]

أ-العامل الصوتي :

يعد الصوت عامل مهم في حياة اللفظة واستمرارها، أو موتها و انقراضها، وهذا ظاهر جلي، فقد تموت الكلمة لسبب داخلي فيها وهو ما تشتمل عليه من أصوات فلا تمتد بها الحياة كثيراً، كمن ولد مريضاً فلا يلبث أن يموت،"وآفة الكلمة أن تتقارب مخارج الحروف فيها، فلا يكاد يجيء في كلام العرب ثلاثة أحرفٍ من جنسٍ واحد في كلمة واحدةٍ، لحزونة ذلك على ألسنتهم وثقله"[12]، والحروف إذا تقاربت مخارج أصواتها كانت أثقل على اللسان

منها إذا تباعدت، يقول الكرملي في الشأن:"إن الألفاظ الحديثة إن لم تجمع في نفسها المزايا التي تُخلّدها فإنها تكون من قبيل المخلوقات المشوّهة الشاذّة النادّة عن سَنن الطبيعة، فإنها لا تولد إلا لتموت ... فكل كلمة عربية غريبة في أصولها أو صيغتها أو تركيبها، أو ثقيلة الاستعمال على اللسان أو على السمع أو على الذوق أو شنيعة الأحرف، فإنها تولد للموت لا للحياة ولا للتعمير، فكيف للخلود"[13].

من شروط فصاحة الكلمة أن تتباعد مخارج أصواتها، ومن الأمثلة التي يوردها العلماء على أنها ليست من الفصيح ،قول العربي: تركت الناقة ترعى الهُعْخُع، لثقل الكلمة على السمع و صعوبتها على اللسان .

ويذكر الكرملي في موضع آخر، أن من الكلمات ما تحمل بذور فنائها في ذاتها أو عوامل بقائها وحياتها مُعممّاً الحكم على جميع اللغات فيقول:"وفي جميع اللغى، حروفٌ قديمةٌ لا تموت ولن تموت، ولومضت عليها ألوف القرون، لما فيها من ضروب المناعة والمكافحة، على ما أشرنا إليه، فإنك إذا راجعت مثلاً بعض الأصول اليونانية واللاتينية والعبرية والعربية والأرمية ترى فيها ألفاظًا جمّة تعد بالألوف وهي حيّة إلى هذا اليوم، وإلى ما يشاء الله ... إلاّ أن الفصحى منها والسائغة والعذبة فيها بقيت على ما كانت عليه"[14].

وهذا الكلام من الكرملي فيه مبالغة، فقد تكون اللفظة عذبة سائغة على اللسان خفيفة على السمع، ورغم ذلك تنقرض، وما السبب الصوتي إلاّ واحد من بين الأسباب العديدة فحسب، ويقول علي عبد الواحد وافي في بيان انقراض الكلمات لسبب صوتي:" ثقل الكلمات على اللسان أو عدم تلاؤم أصواتها مع الحالة التي انتهى إليها تطور أعضاء النطق، فإن هذا العامل لا يقف أثره عند تعريض أصواتها للانحراف عن مخارجها الأولى على الوجه الذي سبق، بل قد يُعرّضها هي نفسها للانقراض ،وإلى هذا يرجع السبب في انقراض كثيرٍ من الكلمات العربية من لغات التخاطب العامية في العصر الحاضر"[15].

وإذا طبقنا هذه القواعد على بعض الألفاظ التي انقرضت في العامية الدارجة أو هي في طريقها للانقراض، لوجدنا أن بعضاً منها انقرض لسبب صوتي، كتقارب حروفه، أو ثقله على اللسان، ومن أمثلة ذلك: "تسبّرقان[16]"و "لمبالة[17]"، ومنها ما انقرض لسبب آخر لا علاقة للصوت به، كالتقدم التكنولوجي، والتطور الحضاري من ذلك مثلاً:"السّواري"[18]، "الخطّارة"[19]، فهاتين اللفظتين انقرضتا للاستغناء عنهما بالمضخّات الكهربائية، و المحرّكات المعروفة التي حلّت محل الخطّارة و السّواري.

ب-العامل الدلالي

الدلالة عنصر فعال فيما يتصل بموت الألفاظ، وإليها يعود موت كثير من الألفاظ المشهورة في العربية، و للإماتة هنا عدة أسباب، من أهمها:

1-زوال المعنى:

قد يزول معنى الكلمة وليس لها معانٍ أُخرى تتشبّث بها، فتموت لتفريغها من محتواها الذي هو سرّ بقائها، وقد أشار إلى ذلك ابن فارس في قوله:" ومن الأسماء التي كانت فزالت بزوال معانيها قولهم المرباع والنشيطة والفضول"[20]، و**المرباع**:"هو ربع الغنيمة يكون لرئيس القوم في الجاهلية دون أصحابه وصار في الإسلام الخمس على ما فرضه الله تعالى"[21]، يقول الله عز وجل في سورة الأنفال: (واعْلموا أنّما غنمتم من شيء فأنّ لله خُمُسَهُ وللرّسولِ ولذي القربى واليتامى والمساكينِ وابنِ السّبيلِ) [22]، وبهذه الآية الكريمة فرض الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم الخمس من الغنيمة بدلاً من الربع الذي كان في الجاهلية،

و**النشيطة:** وهي من الغنيمة ما أصاب الرئيس لنفسه مثل السيف والفرس والجارية، قبل القسمة مع الربع الذي له، والفضول "وهو ما فضل من القسمة ممّا لا تصح قسمته على عدد الغزاة كالبعير والسكين والدّرع واللؤلؤة والبيضة والجارية"[23].

2-الاستغناء:

والمقصود بالاستغناء هنا أن تؤدي لفظتان مختلفتان معنىً واحداً، وهو ما يُعرف بالترادف، قال سيبويه: "وأما استغناؤهم بالشيء عن الشيء فإنهم يقولون يَدَعُ ولا يقولون وَدَعَ، استغنوا عنها بتَرَكَ ،وأشباه ذلك كثير، وقد استغنوا باشتدَّ عن شَدُد"[24]، وقد لجأ الناس إلى الاستغناء بالترادف، حينما ضعُفت السليقة وابتعد الناس عن موطن الفصاحة، وإلاّ فإنَ لغة العرب بلغت درجةً من الرقي والدقة، بحيث إنّ كل لفظ من ألفاظها يحمل معنىً لا يحمله غيره من الألفاظ، وإن تقارب معنى اللفظين، ويمكن لمن اطّلَع على معجم كمعجم :"فقه اللغة و أسرار العربية"للثعالبي، أن يدرك الفروق الدقيقة بين الألفاظ، فمثلاً في الألفاظ الخاصة بالعطر، يقول الثعالبي: "كل عطرٍ مائع فهو الملاب، وكل عطرٍ يابسٍ فهو الِكباء، وكل عطرٍ يدق فهو الأنجوج".[25]

ويقول علي القاسمي في هذا الشأن:"إنّ ما يقرر حياة المصطلح هو الاستعمال وليس الوضع، فالوضع هو بمثابة الولادة، وليس كل مولود يُكتب له العيش و الحياة، لأن العيش يقرّره تعامل المجتمع مع المولود الجديد، وتعهده بالرعاية و العناية، و المصطلح الذي يلقى القَبول و الاستعمال من قبل الجمهور، هو الذي يحظى بالبقاء والاستمرار ، أما المصطلحات التي لا تُستعمل، فهي بمثابة موتى لا وجود لهم إلاّ في سجلات النفوس"[26]، ولقد تعرّضت المصطلحات العربية التراثية فترة طويلة لعدم الاستعمال الفعلي، ممّا أدى إلى انقطاع الصلة بين العرب و تراثهم المصطلحي.

أمَا حلمي خليل فيتحدث عن انقراض بعض الألفاظ واختفائها لذهاب دلالتها[27] فيقول:"أما الألفاظ الأخرى ذات الدلالات العينية أي التي تدل على أشياء مادية ،فهي غالباً ما تختفي من الاستعمال باختفاء تلك الأشياء، واللغة في هذا تصنع نوعاً من التوازن الدقيق بين ما يضاف إليها، وما ينقرض منها"[28].

فإذا انقرض المدلول واستُغني عنه انقرض الدّالّ تبعاً له، وفي هذا يقول الأصمعي:"قد كان للعرب كلام على معانٍ فإذا تبدّلت تلك المعاني لم يُتكلم بذلك الكلام، فمن ذلك قول الناس اليوم ساق إليها صداقها، وإنما كان هذا يقال حين كان الصّداق إبلاً أو غنماً"[29]، ولعلّ هذا هو السبب في انقراض لفظة الدفوع مثلاً في الأعراس، فبعد أن كان الصّداق عُروضاً،كان يدفع ويقام له احتفال،ثم صار في وقتنا الحاضر يُدفع الصّداق أوراقاً نقديةً فلم يُحتج لذلك.

3-العامل الديني:

العامل الديني من أقوى العوامل التي تقرّر حياة بعض الألفاظ أو موتها، إذ الالتزام بتعاليم الدّين وإرشاداته ،دليل كمال الإيمان قال الله تعالى: (و ما كان لمومنٍ و لا مومنةٍ اذا قضى الله و رسولُهُ أمراً أن تكون لهم الخيَّرة من امرهم) [30]

كان العرب على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم و نُسكائهم و قرابينهم، فلمّا جاء الإسلام حالت أحوال ونُقلت دلالات، وأُميتت ألفاظ، كره العربُ النّطق بها في الإسلام، لنهيه عنها، قال الله تعالى (يا أيها الذين ءامنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا) [31]، فالآية صريحة في النهي عن قولهم راعنا وأمرهم بقول " انظرنا" بدلاً منها، وحتى لا نكون ممّن يقول في القرآن برأيه ، ننقل ما ذكره الإمام القرطبي في تفسيره للآية حيث يقول: قوله تعالى "يأيها

الذين آمنوا لا تقولوا راعنا " ذكر شيئا آخر من جهالات اليهود، والمقصود نهي المسلمين عن مثل ذلك، وحقيقة "راعنا" في اللغة أرعنا ولنراعك لأن المفاعلة من اثنين ، فتكون من رعاك الله أي احفظنا ولنحفظك، وارقبنا ولنرقبك، ويجوز أن يكون من أرعنا سمعك، أي فرّغ سمعك لكلامنا، وفي المخاطبة بهذا جفاء، فأمر المؤمنين أن يتخيروا من الألفاظ أحسنها، ومن المعاني أرقّها، قال ابن عباس:"كان المسلمون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم راعنا على جهة الطلب و الرغبة من المراعاة – أي التفت إلينا، وكان هذا بلسان اليهود سباً ،أي اسمع لا سَمعت، فاغتنموها وقالو، كُنّا نسبّه سراً فالآن نسبه جهراً ، فكانوا يخاطبون بها النبي صلى الله عليه وسلم ويضحكون فيما بينهم"[32]، فسمعها سعد بن معاذ وكان يعرف لغتهم، فقال لليهود :عليكم لعنة الله، لئن سمعتها من رجلٍ منكم يقولها للنبي صلى الله عليه و سلم لأضربنّ عنقه، فقالوا، أو لستم تقولوها؟ فنزلت الآية، ونُهو عنها لئلاّ تقتدي بها اليهود في اللفظ وتقصد المعنى الفاسد"[33].

ومما سبق يتبيّن لنا أن لفظة راعنا نهى عنها القرآن الكريم، ولا شك أنّ من يدين بالإسلام ويلتزم أحكامه ينتهي عمّا نهاه الله عن التلفظ به، و بذلك تموت هذه اللفظة وتنقرض للسّبب الديني.

ومن الألفاظ التي ماتت لنهي الإسلام عنها "الصّرورة"، والصّرورة أصلها أنّ الرجل في الجاهلية كان إذا أحدث حدثاً فلجأ إلى الحرم لم يُهجْ وكان إذا لقيه وليُّ الدَم في الحرم قيل له:هو صرورة فلا تُهجه. ثم كثر ذلك في كلامهم حتى جعلوا المتعبد الذي يتجنب النساء صرورة و صرورياً[34]، و قد رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " لا صرورة في الإسلام وهو التبتل ".

- **العتيرة**: فقد فسرها في الحديث بأنها الشاة التي تذبح في رجب وأمّا العتيرة التي تعرفها الجاهلية فهي الشاة تُذبح ويُصب دمها على رأس الصَّنم، والعتير بمعنى الذبح ، قال الحارث بن حِلّزة :"عننا باطلا وظلما كما تعتر عن حجرة الربيض الظباء"[35]، وقد نهى الإسلام عن كل ذبح لغير الله تعالى سواء كان لصنمٍ أو لغيره، و يُعد فاعل ذلك مشرك بالله عز و جل وقد انقرضت لفظة العتيرة لنهي الإسلام عن فعلها، وللرّافعي تعليل في إماتة الإسلام هذا النوع من الألفاظ، وهو أنّهم كرهوا النطق بها في الإسلام لخوفهم على العرب أن يعودوا في شيء من أمر الجاهلية، فمنعوهم من الكلام الذي فيه أدنى متعلّق[36].

ويعلل علي عبد الواحد وافي انقراض بعض الكلمات كتلك التي كانت تستعمل في الجاهلية بذهاب مدلولاتها فيقول "وأمّا انقراض الكلمة من الاستعمال فترجع أسبابه إلى عوامل كثيرة من أهمها ما يلي: انقراض مدلول الكلمة نفسه أو عدم استخدامه، ويصدق هذا على الملابس والأثاث وعُدد الحرب ووسائل النقل وآلات الصناعة و المقاييس و النُّقود و مظاهر النشاط و النُّظم الاجتماعية ... التي انقرضت أو بطل استخدامها فانقرضت معها المفردات الدالة عليها ... وقد انقرض كذلك في اللغة العربية كثير من الكلمات الدالة على نظم جاهلية قضى عليها الإسلام كالمرباع والصّرورة والنَّوافح"[37].

وإذا تتبعنا بعض الألفاظ التي انقرضت في لغتنا العامية الدارجة، نجد أن منها ما انقرض لاختفاء ما تدل عليه،كبعض العادات التي كانت معروفةً ثم تخلّى الناس عنها مثل " التويزة"[38] "، عاشور[39]" " هوبي[40]"، حتى إننا لا نكاد نسمع مثل هذه الألفاظ " فإذا اختفت بعض القيّم والعادات والأفكار عن مجتمع ما ، اختفت بالتالي الكلمات التي تدل عليها من الاستعمال[41]".

العامل الاجتماعي:

لمَا كانت اللغة لا تنفك عن المجتمع ،كان للعامل الاجتماعي دوره في انقراض بعض الألفاظ وهجرانها بالابتذال، حسب تعبير رمضان عبد التواب حيث يقول:" أحياناً تبتذل بعض الألفاظ ويمجها المجتمع، ويعافها الذوق، ومن الألفاظ الدائمة التطور والتغير، تلك التي تشير إلى التبوُّل والتبرّز والعملية الجنسية وأعضاء التناسل، فلا يكاد اللفظ منها يشيع، حتى يمجه الذوق الاجتماعي ، وتأباه الآداب العامة، فيُستعاض عنه بآخر من اللغة نفسها ،أو من لغة أجنبية"[42]، ثم بعد سنواتٍ أو قرون يُمج اللفظ الجديد أيضاً ليعوّض بغيره، وهكذا دواليك، تخضع الألفاظ الخاصة بقضاء حاجة الإنسان إلى التطور الدائم المستمر، ويشبه ذلك "ما حدث في العربية في أسماء الحمّامات، وأماكن قضاء الحاجة، فمنها ما وُضع قبل العصر الحديث، بزمنٍ لا نعرف مداه، لفقدان الوثائق التي تبيَن لنا ذلك الزمن في كثير من الأحيان، فمثلاً كلمة "الكنيف" يعيبها ابن سنان الخفاجي "في القرن الخامس الهجري" في شعر الشعراء فيقول: ومثل هذا قول عروة بن الورد العبسي :

قلت لقوم في الكنيف تروّحوا عشية بتنا عندما وان زُلّح

والكنيف أصله الساتر، ومنه قيل للتّرس كنيف غير أنه قد استُعمل في الآبار التي تستر الحدث وشهر بها فأنا أكرهه في شعر عروة وإن كان ورد مورداً صحيحاً، لموافقة هذا العرف الطارئ"[43]، ولفظ الكنيف كان و لا يزال مستعملاً إلى يوم الناس هذا ببعض قرى و أرياف الجنوب الجزائري، إلاّ أنه في طريقه للانقراض، حيث لا يعرفه سكان المدن الكبرى .

ويواصل عبد التواب رمضان ممثلاً لنا ببعض الألفاظ المستحدثة عوضاً عن الألفاظ القديمة المماتة فيقول:"غير أننا لا نعرف متى استُعملت كلمات مثل "المرحاض" و "بيت الأدب" و" الحمام" و"دورة المياه" وكلها لا تزال حية في ريف بلادنا حتى يومنا هذا غير أن الناس في المدن استعاروا للدلالة على هذا المكان، كلمات من اللغات الأجنبية، مثل "الكابنيه" و" التواليت" وأخيرا " الدبليوسي" (W.C)[44]، ممَا يعني أن الألفاظ المستعملة في هذه الأيام ،مثل المرحاض و بيت الأدب، ستغدو، بعد سنوات أو قرونٍ في عداد اللفظ الممات.

وبعض الألفاظ يُصاب بما يشبه الحظر على استعمالها في المجتمع لأن الناس يتشاءمون من ذكرها، فيستبدلونها بكلمات أخرى كاستعمالهم " المبروكة" للحمى، و "المرض الخبيث" للسّرطان، وهذه الظاهرة هي ما يطلق عليها اسم "اللامساس" أو "الحظر" وهو ترجمة لكلمة taboo،و تطلق على كل ما هو مقدّس، أو ملعون أو يحرم لمسه أو الاقتراب منه من الأشياء و أسمائها، بسبب الاعتقاد الخرافي في سحر الكلمة"[45]، ومن ذلك أيضا، استبدالهم بعض الألفاظ بغيرها تفاؤلاً، حيث أطلقوا اسم المفازة على الصحراء تفاؤلا بفوز صاحبها.

5-الثورة الصناعية و العلمية الحديثة:

إن التقدم العلمي في المائة سنة المنصرمة ،فاق بمخترعاته ومبتكراته من حيث الكم على الأقل "جميع المنجزات العلمية للقرون الماضية، وهكذا جاء بمفاهيم لا عهد للإنسانية بها من قبل، وإذا أخذنا مصطلحات ميدان الهندسة الكهربائية فقط، نجد أن بنك المصطلحات التابع لمؤسسة سيمنز في ألمانيا مثلاً يضم أكثر من مليون مصطلح منها، ولهذا يمكن القول بأنه إضافة إلى الأسباب السابقة يجد المصطلح العربي نفسه عاجزاً عن العثور عن المصطلحات التراثية التي تُعبّر عن هذه المفاهيم الجديدة كل الجدة الحديثة كل الحداثة، على الرغم من أنه يسعى إلى توليد مصطلحات عربية خالصة للتعبير عنها[46] .

ويقول موسى بن مصطفى العبيدان" وتنقرض الأشياء المصنّعة بسبب نشاط إبداع الإنسان وطموحه الدائم للوصول إلى حياة أفضل عن طريق تحسين وسائل معيشته فتختفي الأشياء القديمة ويحل محلها الجديد المبتكر" .[47]

ولعلّ هذا التطور الحاصل في وسائل النقل جعل لفظة "الكارو" مثلاً ، تختفي من الاستعمال اليوم،بعد أن حلّت محلّه وسائل النقل الأخرى الكثيرة "كالسيارات" و"الحافلات" وغيرها من وسائل نقل البضائع والأشخاص.

إن للتطور العلمي والتكنولوجي في الوقت الحاضر دور هام في إماتة بعض الألفاظ التي كانت تستخدم للتعبير عن مدلولاتها في اللغة العربية العامية الدارجة لأن التطور التكنولوجي ،أوفد إلينا ألفاظاً ومصطلحات حضارية كأسماء بعض الآلات والوسائل والأدوات الحديثة بحيث أن هذه الآلات أغنت عن سابقاتها التقليدية، فمثلاً في حقل المصطلحات الفلاحية، انقرضت لفظة "الماجن[48]" "أبادو[49]" الصّمامة[50]" وتم تعويض هذه الألفاظ بـ "الباسان" " التيو" " ألفانا".

وفي ذلك يقول حلمي خليل:" وقد تسقط الألفاظ من الاستعمال لأن مدلولها قد اختفى واندثر باندثار ما تدل عليه [51]"و هكذا تتطور اللغة تبعاً لتطور المجتمع للتعبير عن أغراضه وحاجاته، فهي في حركة دائمة، حيث إنه لا يوجد في اللغة كسب دائم من النمو و التجديد يوفر لها ثراءً نهائياً "فكل تجديد أو نمو في جانب،يقابل بنوع من الخسائر في الجانب الآخر و اللغة في هذا تشبه الكائن الحي ،فهو مؤلّف من خلايا لكلٍ منها حياة مستقلة إذا انقضت ماتت الخلية وانحلت أجزاؤها واندثرت وتولّدت مكانها خلية جديدة ".[52]

6- الاقتراض اللغوي:

يؤدي الاقتراض اللغوي إلى زيادة الثروة اللفظية للغة القومية و هو في الوقت نفسه سبب من أسباب موت بعض الكلمات الأصلية، فإذا شاعت بعض الكلمات المقترضة لكثرة الاستعمال، فإنه يندر استعمال مقابلها من كلمات اللغة الأصلية حتى ينتهي بها المطاف إلى موتها أو هجرها، ومن أمثلة ذلك في اللغة العربية استعمال العرب لكلمة الإبريق بدلاً من التامورة، والأشنان بدلاً من الخُرص و الأترُّج بدلاً من المتك، والياسمين بدلاً من السمسق واللّوبيا بدلاً من الحجر، والكزبرة بدلاً من التقدة، فهذه الكلمات العربية الأصيلة ليس لها استخدام اليوم في العربية المعاصرة فهي كلمات مماتة أو مهجورة ، حل محلها هذه الكلمات المعربة و المقترضة"[53].

مقومات البقاء والإحياء

اللغة ألفاظ محدودة يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم، والأغراض تتجدّد و المعاني تتولّد والحضارة تقذف كل يوم بمخترع، والعلوم الحديثة تطالب كل حين بمصطلح جديد، لذا بات من الواجب إحياء الألفاظ المنقرضة للوفاء بحاجات العصر و متطلباته، فلربما ماتت الكلمة واختفت زمناً طويلاً ثم بُعثت من جديد لتُستخدم في معناها القديم أو في معناها الجديد، ومن الوسائل التي تبعث الألفاظ العربية ما يلي:

1-ممارسة النشاطات اللغوية

إن ذاكرة الإنسان مهما كانت طاقتها و قوتها وسعتها لا تستطيع أن تحتفظ بكل ما يرد إليها أو يودع فيها من معلومات لأمدٍ طويلٍ أو على نحوٍ مستمرٍ وبناء على ذلك فإن قسطاً وافراً مما يُحصّل عليه أو يكتسبه الفرد من مفردات وتراكيب و معانٍ وصيغ لغوية من مصادرها، لا يبرح أن يُنسى مع مرور الزمن ويصبح في عداد المفقود، ما لم يحدث ما يُبقيه

دائم الحضور نشطاً حياً في الذهن، مثله كمثل المعلومات الأخرى المكتسبة ولاشك أن استمرار هذا النسيان و تزايده ،يؤدي إلى تضاؤل رصيد الفرد من عناصر لغته وبناء على ذلك كان لابُدّ من إيجاد طريقة تجعل الكلمات المختزنة في الذاكرة عملة جارية سيارة فاعلة وذات قيمة واقعية، و إلاّ كان وجودها كعدمها، لابد من سبيلٍ لتحريك المحصول اللغوي المكتسب وإبقائه حياً نشطاً ليصبح ثروةً فعليةً نافذة التأثير، صالحةً للاستغلال، دائمة الفائدة، قابلة للنمو و الارتقاء، كمثل الكائن الحي.

وفي هذا يقول محمد المعتوق"ليس هناك طريقة لبعث الحياة أو الحيوية والنشاط في العناصر اللغوية المكتسبة خير من الممارسة الفعلية الدائمة للكلام بمختلف نشاطاته و أشكاله وأوضاعه الممكنة، واستغلال كل الفرص التي تسمح بها الإمكانات الفردية الخاصة ،وظروف الحياة الاجتماعية لتنفيذ هذه الممارسة، فالكلام هو المادة التي تتكون منها اللغة وهو الوسيلة التي تحيى بها اللغة ويتأصل ويستمر وجودها"[54] من الفرص المتاحة التي ينبغي استغلالها "النظام التعليمي والمنظومات التربوية وذلك عن طريق برمجة الألفاظ المنقرضة فيالمقررات الدراسية قصد المحافظة عليها وتنميتها يقول كريستال:"اللغة المهددة بالانقراض ستنمو إذا امتلك المتحدثون بها حضوراً قوياً في النظام التعليمي.[55]

ومن الوسائل أيضاً تدريب التلاميذ في المدارس على ارتجال الكلام " شعراً و نثراً" مضمّنين كلامهم جميع الألفاظ اللغوية ،وبخاصة المهجورة منها و المُماتة، مما يُمكِّنهم من امتلاك ناصية اللغة.

2)- ممارسة الكتابة:

قد لا يتسع للفرد حال التخاطب استدعاء بعض الكلمات النادرة الاستخدام أحياناً، أو المهجورة أحياناً أخرى ،بسبب السرعة التي يقتضيها التخاطب، إلاّ أن ذلك أمر ممكن في حال الكتابة، فبإمكان الفرد أن يطلق العنان لفكره يستدعي، ويتذكر ويغوص في طيات الذاكرة في لحظات من التأمل أو التّخيل أو الكشف، فتكون الفرصة مواتية، وبذلك "فإن ممارسة الكتابة يمكن أن تعمل على انتشال طوائف من المفردات اللغوية من أعماق الذاكرة وبعثها إلى الحياة من جديد أو العمل على إنعاشها وإبقائها جاهزة للاستخدام،"[56]وما أيسر بعث الألفاظ وإحيائها على الشعراء والروائيين خصوصاً، وعلى الكُتّاب عموماً، حيث ينتشلون الألفاظ من بين الركام ويبعثونها كالموتى من القبور، مما يضفي على أعمالهم طابعاً جمالياً ويزيدها رونقاً، وبخاصة في العمل الروائي والإنتاج الشعري، يقول ديفيد كريستال "اللغة المهددة بالانقراض ستنمو إذا كان المتحدثون بها يستطيعون كتابتها"[57]

3-إحياء الأدباء و العلماء لبعض المفردات المهجورة

من العوامل التي تبعث في الألفاظ المنقرضة الحياة إحياء العلماء والأدباء لهذه الألفاظ قصداً، وفي هذا الشأن يقول علي عبد الواحد وافي "فكثيراً ما يلجئون إلى ذلك للتعبير عن معانٍ لا يجدون في المفردات المستعملة ما يُعبّر عنها تعبيراً دقيقاً، أو لمجرد الرغبة في استخدام كلمات غريبة، أو في الترفُّع عن المفردات التي لاكتها الألسنة كثيراً، وبكثرة الاستعمال تبعث هذه المفردات خلقاً جديداً ، ويزول ما فيها من غرابة وتندرج في المتداول المألوف، ولا يخفى ما لذلك من أثر في نهضة لغة الكتابة واتساع متنها وزيادة قدرتها على التعبير"[58]، فمثلاً لفظة الطرطب التي اعتبرها القدماء من الغريب أو المتروك نجد المتنبي (ت 354 هـ) يعود لاستعمالها في القرن الرابع الهجري في قوله :

ما أنصف القوم ضبه وأمه الطرطبه[59]

وكذالك لفظة مثل الطيثار أي البعوض والتي عدّها بعض اللغويين من الألفاظ المنقرضة ،نجد أديباً كأبي العلاء المعرّي (ت 449 هـ) يعيد إليها الحياة باستعمالها في رسالة الغفران فيقول: (وكم من أغلب مثار يسهد لغناء الطيثار) وكذلك يستعمل لفظة "هلهلت" بمعنى قاربت، وهي من الألفاظ التي ذكرها أبو حيان التوحيدي.

4- تفعيل دور مجامع اللغة العربية

لمجامع اللغة العربية دور بارز في إحياء المنقرض و بعث المُمات بوصفها الممثّل الشرعي لأبناء العربية وللمنافحين عنها لذا بات من اللازم تفعيل دورها في إحياء الممات وبعث المنقرض، وقد أصدر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الدورة الثلاثين سنة 1964م قراراً ينص على وجوب تضمين المعاجم اللغوية كل كلمات اللغة، حيث نص على: (من الواجب أن يكون من المعاجم ما يتضمّن كل كلمات اللغة أمَّا وصف بعض الألفاظ بأنها حوشية ،فذلك اعتبار بلاغي لا لغوي، ولا يُستبعد اللفظ من المعاجم بأنه حوشي)، وبهذا ردَّ المجمع الاعتبار للألفاظ القديمة، وفتح الباب للإفادة منها في المصطلحات العلمية الجديدة، فأصبحت القاعدة تنص على تفضيل المصطلحات العربية القديمة ،على المستحدثة شريطة أن لا تكون المصطلحات المستحدثة شائعة في الاستعمال، وأن تكون المصطلحات القديمة مُعبّرة عن المقصود تعبيراً دقيقاً[60]".

خاتمة:

يؤدي انقراض الألفاظ حتماً إلى ضياع التاريخ المدّون بتلك الألفاظ، فالمدوّنات المكتوبة بألفاظ انقرضت، تصبح بالنسبة للأجيال اللاحقة رموزاً مبهمة المعنى و الدلالة. فعلى الشعوب الحيّة واجب الحفاظ على لغاتها من الاندثار ، فاللغة هوية الشعب و سر تميزه ، وهي تمثل أصالة الأمم والشعوب، فالحديث عن موضوع كهذا يطولُ ويتشعبُ، لكن المهم هو محاولة إيجاد الحلول المناسبة لمشكلة انقراض الألفاظ، ولطالما قد عُرفت الأسباب، فالوصول إلى الحل يصبح أمراً ميسوراً، وممّا توصلنا إليه من خلال هذا البحث ما يلي:

أ-عّبر العلماء عن اللفظ الممات في الدرس اللغوي بمصطلحات كثيرة ومتعددة،

ب- لانقراض الألفاظ في العربية أسباب متعددة، إلاّ أن كل لفظ مات وانقرض، قابل لئن يُبعث، وتجري به الألسنة من جديد.

الإحالات

القرآن الكريم :رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق.

[1] عبد الرزاق بن فراج الصاعدي: موت الألفاظ في العربية، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الناشر موقع الجامعة الاسلامية بالمدنية المنورة ص (1/356) العدد 107 سنة 1419/1418

[2] ديفيد كريستال، موت اللغه، ترجمةد.فهد بن مسعد اللهيبي جامعة تبوك 2006،ص 22.

[3] عبد الرزاق بن فراج الصاعدي: موت الألفاظ في العربية.ص(1/357)

[4] مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب ،ج1 ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان 200 ص 134

[5] عبد الرزاق بن فراج الصاعدي: موت الألفاظ في العربية ص (1/357) مرجع سابق

[6] عبد الرزاق بن فراج الصاعدي: موت الألفاظ في العربية ص (1/358)مرجع نفسه

[7] عبدالرزاق بن فراج الصاعدي:موت الألفاظ في العربية ص (1/358)مرجع نفسه

[8] . حلمي خليل: المولد في العربية ،دار النهضة العربية ،بيروت لبنان ،ص 145.

[9] مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب،ج1،ص 133

[10] رمضان عبد التواب : لحن العامة و التطور اللغوي ، الناشر مكتبة زهراء الشرق ، ط 2 ، 2000 ، ص 443

[11] عبد الرزاق بن فراج الصاعدي:موت الألفاظ في العربية ص (1/358)

[12] عبد الرزاق بن فراج الصاعدي: موت الألفاظ في العربية ص (1/438)مرجع نفسه

[13] الاب أنستاس ماري الكرملي: نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها،مكتبة الثقافة الدينية المركز الرئيسي526 بور سعيد الظاهر، ص 88

[14] الاب انستاس ماري الكرملي: نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها ص87 مرجع نفسه

[15] علي عبد الواحد وافي :علم اللغة ،نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع 2006م، ص 328.

[16] **تسبرقات:** هي قربة العريس المكلفة بمرافقة العروس إلى بيت زوجها

[17] **لمبالة:** سوار غليظ مدبج مصنوع من الفضة

[18] **السواري:** بناء عالٍ مرتفع بجانب البئر علوه كُعُلوّ منارة المسجد، يُستعان به على جذب الماء من البئر، بوسائل تقليدية كالحبل و القنينة و الخُمَّارة و غيرها

[19] الخطارة:هي الخشبة التي يجذب بها الماء من البئر و تقوم مقامها المضخة حالياً و تتكون من الرقبة و الخشبة الأم و الخَدّ، و مكانها فوق السّواري

[20] عبد الرزاق بن فراج الصاعدي: موت الألفاظ في العربية ، ص (1/442)مرجع سابق

[21] مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب ، ج1 ، ص135مرجع سابق .

[22] سورة الأنفال الآية 41، رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق.

[23] مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب ، ج1،ص135.مرجع سابق .

[24] عبد الرزاق بن فراج الصاعدي: موت الألفاظ العربية (ص 1/358)مرجع سابق .

[25] أبو منصور الثعالبي : فقه اللغة و أسرار العربية ، تحقيق أحمد شوقي ، المكتبة االتوقيفية ، ط 1 ، 2012 ، ص 41 .

[26] علي القاسمي: علم المصطلح اسسه النظرية وتطبيقاته العملية مكتبة لبنان ناشرون ط1 2008 ص 217.

[27] حلمي خليل: المولد في العربية ص 145.مرجع سابق .

[28] المرجع نفسه ص 146

[29] حلمي خليل: المولد في العربية ص 146 .مرجع سابق .

[30] سورة الأحزاب، الآية رقم 36

[31] سورة البقرة الآية 104

[32] أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي :الجامع لأحكام القرآن ،ج1 المكتبة التوفيقية القاهرة 2008م ص 50.

[33] المرجع انفسه، ص 51 .

[34] ابن فارس : مقاييس اللغة ، تحقيق و ضط عبد السلام محمد هارون ، طبعة اتحاد الكتاب العرب ، 2002 ، الجزء 3 ص 248

[35] العلامة القاضي ابو الفضل عياض اليحصبي:إ كمال المعلم شرح صحيح مسلم ج6 ص 204 موقع شبكة مشكاة الاسلامية http:www.almeshkat.net

[36] عبد الرزاق بن فراج الصاعدي: موت الألفاظ في العربية (1/446)مرجع سابق.

[37] علي عبد الواحد وافي: علم اللغة ص 327

[38] التويزة :المساعدة الجماعية التي يقدمها فلاحو القرية لأحد ضعفائهم أو رؤسائهم أو فقهائهم

[39] **عاشور:** و سميت بذلك لأنها تؤدى في الأيام العشر من شهر محرم

[40] **هوبي:** رقصة مشهورة بمنطقة بشار خاصة مدينة العبادلة، و في هذه الرقصة يرقص مجموعة من الرجال و تدور بينهم امرأة، و قصائدها غزلية

[41] د. حلمي خليك: المولد في العربية ص 141.

[42] رمضان عبد التواب: التطور اللغوي مظاهرة وعلله وقوانينه دار النشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ط3 1997 م ص 201.

[43] رمضان عبد التواب: التطور اللغوي مظاهرة وعلله وقوانينه ص 202 .

[44] عبد التواب رمضان: التطور اللغوي علله ومظاهره وقوانينه ص 203مرجع نفسه.

[45] عبد التواب رمضان: التطور اللغوي علله ومظاهره وقوانينه،مرجع سابق ،ص 203

[46] علي القاسمي :علم المصطلح أسسه النظرية و تطبيقاته العملية ص 219

[47] موسى بن مصطفى العبيدان : الممات في اللغة مجلة التراث العربب ، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب دمشق ، العدد 29 ، 24 أيلول ، 2004 م ، الموافق لرجب 1425 . http://www.dahsha.com/51016/

[48] **الماجن:** تطلق على الحوض المخصص لتخزين الماء و جمعه للسقي و تبنى من الطين عادة

[49] **أبادو:** مجرى الماء في البستان.

[50] **الصّمامة:** على شكل كرة قماشية توضع في ثقب الحوض المائي، تمنع خروج الماء من الحوض المخصص لتخزين الماء للسقي

[51] حلمي خليك : المولّد في العربية ، ص 145 .

[52] حلمي خليل : المولّد في العربية ص 141 .مرجع نفسه.

[53] ينظر: موسى بن مصطفى العبيدان : الممات في اللغة ، مجلة التراث العربي ، مجلة فصلية عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، العدد 95 ، 24 ايلول ، 2004 م ، الموافق لرجب 1425 ه .

[54] أحمد محمد المعتوق: الحصيلة اللغوية، أهميتها، مصادرها، و سائل تنميتها، سلسلة عالم المعرفة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب ، الكويت ، 1996 م ، ص 262

[55] ديفيد كريستال .موت اللغه،ترجمةد.فهد بن مسعد اللهيبي جامعة تبوك 2006،ص222

[56] محمد أحمد المعتوق : الحصيلة اللغوية أهميتها مصادرها وسائل تنمتها ، مرجع سابق ، ص 270 .

[57] ديفيد كريستال .موت اللغه،ترجمةد.فهد بن مسعد اللهيبي جامعة تبوك 2006،ص222

[58] علي عبد الواحد الوافي : علم اللغة ، شركة نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع ، ط 11 ، 2006 ، ص 281 .

[59] حلمي خليل : المولد في العربية ، 150 .

[60] عبد الرزاق بن فراج الصاعدي: موت الألفاظ في العربية ص 461